العنوان في مقامات بديع الزمان الهمذاني
بناؤه ودلالاته ووظائفه

أ.عمارة الجدّاري

جامعة سوسة – تونس

ملخّص:

يكتسب العنوان في مقامات بديع الزمان الهمذاني أهمّيّة بالغة. فكان نصّا صغيرا متنوّعا في دلالاته وإيحاءاته ووظائفه وعلاقاته بمحتوى النصّ. وسنحاول في هذا البحث الوقوف على هذه الأهميّة مستعينين بما بلغته دراسة العنوان في الدرس النقدي.

كلمات مفاتيح: العنوان – المقامات – البناء – الوظائف.

ABSTRACT:

The title in EL-MAKAMAT of Badi-Zaman Al-Hamzani is of great importance. It is a small text which acquires connotations, inspirations and functions.

In this paper, we attempt to identify this importance of this kind of texts using the study of the title in the critical tudies.

Key words: The title - EL-MAKAMAT – structure – function.

1- مدخل:

1-1- أهمّيّة العنوان في النصّ وعلاقته باستراتيجيّة الخطاب:

يمثّل العنوان في النص الأدبيّ عنصرا رئيسا والبحث فيه ودراسته ما هي إلاّ بحث في استراتيجيات الخطاب الأدبيّ عامّة. فالعنوان يجري مجرى العلامات الدالّة في النصّ بل عتبة من عتباته. ولا يمكن تبعا لذلك فصله عن تقنيّات العمل الأدبيّ وصور النصّ بصفة عامّة.

إنّ العنوان والنصّ صنوان وإنْ اختلفا حجْما وامتدادا. فالعنوان مدخل للنصّ واختزال له. والنصّ امتداد للعنوان وتفصيل له. وهذه العلاقة تحتاج مزيدا من الدراسة والاهتمام النقدي في ظلّ تشتت المادّة وضبابية الجهاز النظريّ. ولعلّ المَخْرَجَ من هذا المأزق يتمثّل في الوقوف على آثار يشكّل فيها العنوان علامة مستفيضة شكلا ومضمونا.

ولئن لم يحملْ العنوان في الدرس النقدي العربيّ القديم أهمّيّة واضحة فإنّه في الدرسيْن النقديين العربيّ الحديث والغربيّ قدْ اكتسب قراءات مهمّة فكان أكثر تكثيفا وإيحاءً. ويمكن أنْ يُردَّ ذلك إلى تطوّر الفنّ الروائيّ والعناية بعتباته وتقنيات الخطاب فيه...

والمدوّنة الإنشائيّة القديمة لغة وشعرا لمْ تُعْنَ بالعنوان عناية واضحة بل ظلّتْ مقتصرة على افتتاح النصّ واستهلاله فالقصائد تُعرفُ بمطالعها ونصوص اللغة والفقه بمواضيعها.

وسنحاول في هذا المبحث الاهتمام بالعنوان في الدرسيْن النقديّيْن العربيّ والغربيّ وتطبيق جملة من الرؤى النقديّة المناسبة على نصوص مقامات بديع الزمان الهمذاني...

1-2- العنوان في الدرس النقديّ:

لم يعتن الأدب العربيّ القديم بالعنوان وامتدّ ذلك إلى الدرس النقديّ عامّة. فكانت العلاقة قائمة على التماهي بين المدوّنات الإنشائيّة والنقديّة. فالشعر الذي يمثّل ميسم الثقافة العربيّة وعنصرها الرفيع ومنارتها الرئيسة لم يعتن بالعنوان بل ظلّت القصائد تعرف بمطالعها. واللغة ودروس الفقه والرسائل تعرف بمواضيعها العامّة ولا يختصّ بالظاهرة نصّ دون آخر. فكان العنوان علامة نصّيّة تنهض بوظيفة التعيين أكثر من كونها عمليّة إنشائيّة نصّيّة.

لكنّ الدرس النقديّ الغربيّ قد اكتشف في العنوان مداخل مناسبة لفهم النصّ بل عتبة من عتباته فكان يُرى فيه إرساليّة مشفّرة تجمع بين مستوييْن: إشارات أدبيّة ومقدّمات إشهاريّة[1].

1) Charles Grivel, *Production de l'intérêt romanesque*, Paris-La Haye, Mouton, 1973, p.173.

وكان العنوان بهذا الإيحاء يمثّل آليّة مهمّة لمقاربة الأثر فكان نصّا صغيرا يحمل علامة دالّة ويؤسّس أفق انتظار[1] فكان محفّزا على الرغبة في معرفة كنه النصّ وجوهره[2]. وسنحاول الوقوف على جملة من القراءات الغربيّة لظاهرة العنوان ودواعيها وأبعادها ومدى الإفادة منها في قراءة النصّ الأدبيّ عامّة.

*- **جيرار جينات**GERARD GENETTE: يذهب الدارسون إلى أنّ **جيرار جينات** أكثر النقّاد اهتماما بالعنوان، وأنّ "العتباتSEUILS"[3] أهمّ دراسة علميّة ممنهجة في مقاربة العتبات عامّة والعنوان بصفة خاصّة. فهذه الدراسة تسترشد بعلم السرد والمقاربة النصيّة في شكل أسئلة ومسائل وتفرض نوعا من التحليل. وكانت مقاربة جيرار جينات عائدة إلى الاهتمام بالنصّ من وجهتيْه الرئيستيْن، الوجهة المتعلّقة بداخل النصّ مثل العنوان والتصدير وعناوين المحاور وجدول المواد والفهارس والوجهة المتعلّقة بخارج النصّ مثل المراجع وعالم إنشاء النصّ الخارجي.

1) Léo H. Hoek, *La marque du titre : dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle*, Paris, Mouton, 1981 .Cité par J-P Goldenstein, *Entrées en littérature* , Paris , Hachette, 1990, p.68.

2) Duchet Claude*, Eléments de titrologie romanesque,* in LITTERATURE n° 12, décembre1973

3) GERARD GENETTE, SEUILS Editions Seuils, COLL. Poétique. Paris, 1987.

*- **ليوهويك** Léo H. Hoek: عني **هويك** بالعنوان أيّما عناية في كتابه "علامة العنوان"[1] فكان يرى في العنوان مقاربة سيميائية للممارسة النصيّة فكان يعرّف العنوان تبعا لذلك بكونه "مجموعة من الدلائل اللسانيّة تثبت في بداية النصّ من أجل تعيينه والإشارة إلى مضمونه الإجماليّ ومن أجل جذب الجمهور المقصود[2]

وتطوّرت المباحث المتعلقة بالعنوان فحرص الدرس النقديّ الغربيّ على أن يفرده بعلم مستقلّ "**علم العنوان**"[3] ويعود إلى **ليوهويك** [Léo H. Hoek] فضل تأسيس هذا العلم متوسّلا بما وصلت إليه الأبحاث اللسانية والسيميوطيقا.

وتطوّر حضور العنوان في الإبداع الأدبيّ العربيّ الحديث فصار مكثّفا إيحائيّا مع تجارب الشعر الحديث والرواية. لكنّ النقد العربيّ الروائيّ والشعريّ مازال لم يوله العناية الكافية. وكان تناوله في إطار بحث عامّ في الشعر أو الرواية دون الاستقلال بالبحث في العنوان وخصّه بالبحث المستفيض الذي يمكن أنْ نخلص منه إلى دلالات وقراءات مناسبة.

---

1) Léo H. Hoek, *La marque du titre : dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle*, Paris, Mouton, 1981 .Cité par J-P Goldenstein, *Entrées en littérature*, Paris, Hachette, 1990.

2)Ibid p68 «*Le titre est également considéré comme emballage et "incipit romanesque"*»

3) يعبّر عن هذا العلم بـ"Titrologie"

1-3- بديع الزمان الهمذاني:

1-3-1- حياته:

بديع الزمان الهمذاني هو **أبو الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني**. وُلد بـ"**همذان**"[1] سنة 358 للهجرة وتوفّي بـ"**هراة**"[2] سنة 398 للهجرة. وتثبت كتب التاريخ والتراجم أنّه كان شديد التنقّل في الأقاليم الإسلاميّة والاتّصال بأمرائها ومجالسهم الأدبيّة. فقد غادر "**همذان**" إلى "**الريّ**"[3] حيث **الصاحب بن عبّاد**[4] ومنها إلى "**جرجان**"[5] فـ"**نيسابور**"[6] ثم "**خراسان**"[7] فـ"**سجستان**"[8] حيث اتّصل بأميرها **خلف بن أحمد**[1] ثمّ انتقل إلى "**غزنة**"[2] وأخيرا "**هراة**" حيث توفّي.

---

[1] ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، 1993، المجلد5، ص84: "همذان: مدينة إيرانية فيها قبر العالم الطبيب ابن سينا".

[2] نفسه، المجلد5، ص52، "هراة: مدينة أفغانية تقع غرب أفغانستان يمرّ بها نهر هريرود الذي يتدفّق من وسط البلد".

[3] نفسه، المجلد3، ص63، " الريّ: مدينة إيرانيّة في الجنوب الشرقي لمدينة طهران فتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطّاب."

[4] خيرالدين الزركلي، معجم البلدان، دار العلم للملايين، الطبعة15، 2002، المجلد5، ص184، "الصاحب بن عبّاد [326هـ – 385هـ]: استكتبه ابن العميد ثمّ استوزره الملك مؤيّد الدولة البويهي اشتهر باهتمامه العلمي والأدبي".

[5] ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد5، 124، " نيسابور: مدينة في شمال شرقي إيران، كانت عاصمة لمقاطعة خراسان قديما".

[6] نفسه، المجلد2، ص83، " جرجان: احدى المدن الشهيرة في إيران تسمّى قديما استراباد".

[7] نفسه، المجلد2، ص95، "خراسان: اقليم شمال إيران وافغانستان "

[8] نفسه، المجلد3، ص67، " سجستان: اقليم يقع شرقيّ ايران وافغانستان".

1-3-2- ثقافته وآثاره:

كان **الهمذاني** يتقن الفارسيّة والعربيّة وهو شاعر ومترسّل إلاّ أنّه اشتهر بالمقامات. وكانت له في **نيسابور** المناظرة المشهورة التي تفوّق فيها على **الخوارزمي**[3] وكانت له مدحيّات متنوّعة في أميرها **خلف بن أحمد**.

وله ديوان شعر[4] جَمَعَ قصائد متنوّعة الأغراض مدحا ورثاءً وشكوى الدهر ومقطوعات طريفة في الوصف. وله رسائل[5] تعدّ ثلاثة وثلاثين ومائتيْ رسالة مختلفة المواضيع.

---

[1] خيرالدين الزركلي، معجم البلدان الأمير، المجلد2، ص59، "خلف بن أحمد: كان أميرا على سجستان في زمن الهمذاني."

[2] ياقوت الحموي، معجم البلدان، المجلد3، ص178، " غزنة مدينة أفغانيّة تقع جنوب غرب كابول كانت على زمان الهمذاني من أهمّ مراكز الثقافة والآداب في العالم الاسلامي".

[3] خيرالدين الزركلي، معجم البلدان، المجلد2، ص48، " الخوارزمي: [164هـ-232هـ]: عالم رياضيات وفلك له عديد المؤلفات في الفلك والجبر والجغرافيا".

- يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم بيروت، [د.ت] ص58، "وللخوارزمي مع بديع الزمان الهمذاني مناظرة تمثّلت في مطارحة أدبيّة شهيرة. كانت سببا في موت الخوارزمي غمّا وحزنا".

[4] الهمذاني (بديع الزمان)، الديوان، تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1424هـ/2003م

[5] الهمذاني (بديع الزمان)،الرسائل، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1928.

[نسخة مصوّرة على موقع لسان العرب lisaanularab.blogspot.com:12/2017]

1-4- المقامات:

تمثّل المقامات إثنين وخمسين نصّا تشترك في جملة خصائص وإنْ اختلف بعضها عن المثال. وقد رصد الدرس النقديّ جملة خصائص تميّز هذا الجنس الأدبيّ مثل العنوان والتأنّق في العبارة والسجع والرواية في مجلس والمزاوجة بين الشعر والنثر[1].

ومقامات **الهمذاني** قد مثلت ميسم إبداعه لجدّتها وطرافتها وتأثيرها في الأعمال اللاحقة وما طرحته من قضايا أجناسيّة وأبعاد نقديّة وتصوّر للشكل القصصي في بداية ظهوره.

ويعتبرها المؤرّخون من أوّل ما ألّف في المقامات. ويعود فضل تحقيقها إلى الأستاذ **محمد عبده** بعد عودته من باريس إلى بيروت سنة 1888. وقد أشار إلى أنّه أسقط منها ما لا يناسب المقال والمقام إذ يشير إلى ذلك في مقدّمة طبعته قائلا: "**وههنا ما ينبغي التنبيه عليْه وهو أنّ في هذا المؤلّف من مقامات البديع –رحمه الله– افتنانا في أنواع من الكلام كثيرة، ربّما كان منها ما يستحي الأديب من قراءته. ويخجل مثلي من شرح عبارته. ولا يحمل بالسذّج أنْ يستشعروا معناه، أو تنساق أذهانهم إلى مغزاه وأعوذ بالله من أن أرمي صاحب المقامات بلائمة تنقص من قدره. أو أعيبه بما يحطّ من أمره، ولكن لكلّ زمان مقال ولكلّ خيال مجال وهذا عذرنا في ترك المقامة الشاميّة وإغفال بعض جمل المقامة الرصافيّة**

[1] حمّادي صمّود، الوجه والقفا في تلازم التراث والحداثة، ط 1، 1988؛ ط2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2010.

وكلمات من مقامة أخرى مع التنبيه على ذلك في مواضعه والإشارة إلى السبب في مواقعه"[1]

فرغم فضل **محمّد عبده** في تحقيقه المقامات فإنّه قد جعلها النصّ المطلق حسب شرحه. بل إنّ الدارسين بعده قد اعتبروا أنّ تحقيقه العمل الأصليّ للمقامات.

واعتبار المقامات أربعين نصّا قد يمسّ من جوهرها. وقد يعود إلى ما أصابها من زيادة أو نقصان وعبث النسّاخ على قول **محمد عبده** "بما أفسد المبنى وغيّر المعنى مع زيادات تضرّ بالأصول وتذهب بالذهن عن المعقول، ونقص يهزّع الأساليب وينقض بنيان التراكيب. فالناظر فيها إنْ كان ضعيفا ضلّ وحار وإن كان عرّيفا لم يأمنْ العثار"[2].

والمقامات من صنع **بديع الزمان الهمذاني** دون أنْ يتأثّر بأحد، استوحاها من مجتمعه وعصره وشهرة الأقاصيص المنتشرة وجعلها موشّاة بالسجع والجناس غنيّة بالصور والمجازات مليئة بالإيقاعات تشدّ الأسماع وترفّه عن القلوب.

إنّ المقامات نصّ مفتوح لا ينضب ينفتح على قراءات متنوّعة ومازال لم يبُحْ كثيرا من خفاياه رغم ما أتاه الدارسون والنقّاد.

---

[1] بديع الزمان الهمذاني، المقامات، شرح وتحقيق الشيخ محمد عبده، الطبعة الخامسة، بيروت 1965.

[2] نفسه، المقدّمة، ص13

2-عناوين المقامات (توصيف وتصنيف):

مثلت مقامات بديع الزمان الهمذاني نصوصا فريدة في الثقافة العربيّة. وتميّزت بعناوين تفردها وتميّزها. لكنّ الناظر في هذه العلامة التي تمثّل العتبة الأولى للنصّ يكتشف أنّ لها صلة فنيّة مهمّة بالنصّ وتكشف عن وعي إبداعيّ نشأ منذ القديم (القرن الرابع الهجري) لكنّ العناية النقديّة به قد تأخّرت لسنوات طوال.

ولعلّ العناية بالعنوان في المقامات يمكن أنْ يكشف عن أهمّيّته في النصّ الأدبيّ عموما. والعناوين في المقامات تتنوّع بل تتفرّد كلّ مقامة بعنوانها المخصوص. وقد يحيل على النصّ من جوانب مختلفة تتعلّق بموضوع المقامة أو مكان وقوع أحداثها. ولعلّ عمليّة توصيف العناوين وتصنيفها يمكن أن يكشف عن حضور متميّز يعبّر عن سيميائيّة الخطاب الأدبيّ.

وسنركّز في هذا التصنيف على العنوان وما دلّ عليه لفظه وموضوع نصّه لنبحث في العلاقة الشكلية والدلاليّة الرابطة بين العنوان والنص وتبيّن حضور العنوان ودوافع اختياره وأبعاده. وسنجمل ذلك في الجدول التالي:

العنوان	مضمون العنوان	موضوع المقامة
المقامة القريضية	جنس+ موضوع:	مجلس أدبيّ يبرز فيه الاسكندري رأيه في امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وجرير والفرزدق
المقامة الأزاذية	جنس+ موضوع:	الكدية + احتضان العيال + الشعر
المقامة البلخية	جنس+ مكان	الكدية عن طريق الأدب
المقامة السجستان	جنس+ مكان:	الكدية عن طريق الوعظ
المقامة الكوفية	جنس+ مكان:	أبو الفتح يختار الكدية ليلا بين الفرزدق وذي الرمة
المقامة الأسدية	جنس+ موضوع	حادثتان إحداهما مع قاطع طريق والثانية مع أسد
المقامة الغيلانية	جنس+: شخصية	عصمة بن بدر الفزاري يروي ما شاهده عن ذي الرمة والفرزدق
المقامة الأذربيجانية	جنس+ مكان:	أبو الفتح غريب معوز يطلب الإعانة للعودة إلى وطنه
المقامة الجرجانية	جنس+ مكان:	إدّعاء أبي الفتح أنّه كان من الأثرياء وقد انقلبت عليه الأيّام
المقامة الأصفهانية	جنس+ مكان	إدّعاء أبي الفتح رؤية النبيّ في المنام وأنّه قد جاء القوم ببشارة منه ودعاء أوصاه أن يعلّمه أمّته
المقامة الأهوازية	جنس+ مكان:	مجلس أنس ينغّصه أبو الفتح بتذكيره بالموت ووعظه
المقامة البغدادية	جنس+ مكان:	بمكر عيسى بن هشام بالسوادي+وصف لبعض الأطعمة
المقامة البصرية	جنس+ مكان	الكدية عبر استدرار العطف والادّعاء أنّه معول فقير
المقامة الفزارية	جنس+ مكان:	الكدية عن طريق الأدب
المقامة الحاجطية	جنس+ شخصية	وصف وليمة وانتقاد الجاحظ
المقامة المكفوفية	جنس+ موضوع	وصف شحّاذ يخدع الناس بالتعامي
المقامة البخارية	جنس+ مكان:	اصطحاب أبي الفتح في تسوّه بغية استدرار العطف
المقامة القزوينية	جنس+ مكان:	محتال يدعي أنه عزيز ذل وغنيّ أفقر
المقامة الساسانية	جنس+ مكان	أبو الفتح يقود بني ساسان في استجداء جماعيّ
المقامة القردية	جنس+ موضوع:	تحلّق الناس حول قرّاد في مدينة بغداد
المقامة التميمية	جنس+ شخصية	من مناصب الدولة ووظائفها
المقامة المصيرية	جنس+ موضوع:	دعوة إلى طعام+وصف لبيت ولكثير من أثاثه ورياشه
المقامة الحرزية	جنس+ موضوع:	استغلال أبي الفتح خوف بعض المسافرين بحرا وادّعاء أنّه يملك حروزا لايغرق صاحبها
المقامة المارستانية	جنس+ مكان:	مجنون يسفه آراء المعتزلة
المقامة المجاعية	جنس+ موضوع	أبو الفتح يصف لعيسى بن هشام مأدبة متخيّلة عام مجاعة
المقامة الوعظية	جنس+ موضوع	أبو الفتح يعظ قوما بالطريق العام ويجمع بين الشعر والنثر
المقامة الأسودية	جنس+ الأسود	طريد يلجأ إلى أحد أعراب البادية فيصادف أبا الفتح عنده
المقامة العراقية	جنس+ مكان:	تكشف عن علم أبي الفتح بالشعر وقوّة حافظته
المقامة الحمدانية	جنس+ حمدان	في وصف فرس
المقامة الرصافية	جنس+ مكان:	اجتماع بعض القوم في مسجد وذكر للصوص وحيلهم
المقامة المغزلية	جنس+ موضوع:	أحجيتان الأولى تتعلق بالمغزل والثانية بالمشط
المقامة الشيرازية	جنس+ مكان:	افتقار أبي الفتح بعد غنى لزواجه من امرأة سيّئة الأخلاق
المقامة الحلوانية	جنس+ مكان:	مغامرتان لعيسى بن هشام الأولى مع الحمام والثانية مع حجّام مخبول تبيّن فيما بعد أنّه الاسكندري
المقامة النهيدية	جنس+ موضوع	في وف بعض الأطعمة
المقامة الأرمنية	جنس+ مكان:	تعرّض قافلة ابن هشام والاسكندري للسبي والتجاؤهما إلى الاحتيال على خبّاز فلبّان، ثمّ انقلاب الحيلة عليهما.
المقامة الإبليسية	جنس+ موضوع:	لقاء بين عيسى بن هشام وأحد شيوخ الجنّ يُدعى أبو مرّة
المقامة الناجمية	جنس+: الناجمية	مذاكرة أدبيّة وإشارة إلى نفاق سوق الشعر
المقامة الخلفية	جنس+ موضوع	أثر الخادم في علاقة سيده بالناس
المقامة النيسابورية	جنس+ مكان:	في وصف قاض لئيم سيّء الأخلاق ذميم السيرة
المقامة العلمية	جنس+ موضوع	أبو الفتح يبرز لأحدهم كيف يكتسب العلم
المقامة الوصية	جنس+ جنس	مجموعة نصائح يقدمها أحد التجّار لابنه قبل السفر للتجارة
المقامة الصيمرية	جنس+: شخصية	رواية أبي العنبس الصيمري لقصته مع أصحاب نبذوه فقيرا وأقبلوا عليه غنيا وكيف انتقم منهم
المقامة الدينارية	جنس+ موضوع:	تنافس بين الاسكندري وأحد الشحاذين في ميدان الشتيمة والسباب
المقامة الشعرية	جنس+ جنس	من الأحاجي في الشعر
المقامة الملوكية	جنس+ موضوع	مدح كرم بعض الملوك وتفضيل "حاف" والي سجستان وقتها على سيف الدولة
المقامة الصفرية	جنس+: موضوع	التعزّل بالدينار
المقامة السارية	جنس+ موضوع	مجلس عند وال
المقامة الموصلية	جنس+ مكان:	مغامرتان لأبي الفتح يدّعي في الأولى القدرة على إحياء الأموات وفي الثانية القدرة على إتيان المعجزات
المقامة الخمرية	جنس+ موضوع	مغامرة مخمورين في المسجد مع فضح ظاهرة النفاق
المقامة المطلبية	جنس+ موضوع:	ادّعاء رجل الزهد ومعرفته مواضع بعض الكنوز: خداع الناس

تكشف هذه الدراسة الجدوليّة للمقامات عن أنّ النصوص المختلفة تشترك في عبارة دالّة **[مقامة]** استنادا إلى ما حُدِّد في العنوان أو من خلال ما وصل إليْه

الدرس النقديّ من تحديد لخصائص الجنس الأدبيّ المخصوص. والمقامات نصوص لها خصائصها وبناؤها. والمتأمّل فيها يلحظ لأوّل وهلة حضور لفظة مقامة في كلّ النصوص في موضع مضاف لمضاف إليْه يتنوّع مدلوله ومضمونه من نصّ إلى آخر. وتوزّعت العناوين في اللفظ الثاني المتنوّع بين الإحالة إلى مكان الأحداث مثل بغداد أو نيسابور... أو الإحالة إلى عنصر رئيس من عناصر مواضيع المقامات مثل الأزاذ أو القرد... أو الإحالة إلى شخصيات مثل الجاحظ وغيلان ذي الرمّة...

وتنوّعت مواضيع المقامات وتعدّدت عناصرها. ولئن كان النموذج قد تميّز بحضور عناصر عُدَّتْ أساسيّة مثل الكدية والتعرّف وحضور الشعر والرواية في مجلس[1] فإنّ بعض المقامات قد نحا مناح أخرى مختلفة. ورصدنا في هذا الجدول مواضيع المقامات للوقوف على العلاقات الرابطة بينها وعلاقاتها بالعنوان.

وللبحث في مسألة العنوان وبنائه ووظيفته وأبعاده ندرس علاقة هذه العناوين بمحتويات النصوص في بنائها ومواضيعها.

3- علاقة العناوين بمحتوى النص:

يَجْري في مقامات **بديع الزمان الهمذاني** العنوان على شاكلتيْن، العنوان الرئيس: المقامات وعناوين فرعيّة يختصّ بها كلّ نصّ/كلّ مقامة. وسنخصّ الشكْليْن بالدرْس والبحث.

[1] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم بيروت، [د.ت]، ص53.

3-1- العنوان الرئيس:

تتنزّل "المقامات" عنوانا رئيسا والمقامات جمع مفرده مقامة. وهو ما يمكن أنْ يوحي بتعدّد المقامات تعدّدا جمعيّا. فكان العنوان بذلك اختزالا لمحتوى الكتاب. وتشي صيغة الجمع "مقامات" بأنّ الكتاب جَمَعَ مقامات مختلفة وكلّ مقامة فيه مستقلّة عن الأخرى. وانزاح العنوان الجمع **[مقامات]** مفتّتا إلى الإفراد في العناوين الفرعيّة الداخليّة **[المقامة الـ...]**.

3-2- العناوين الفرعيّة:

تتكوّن كل العناوين في نصوص المقامات من لفظتيْن، لفظة مكرّرة عابرة لكل النصوص تمثّل العنصر الثابت في العناوين **[المقامة]** ولفظة تتغيّر من نصّ إلى آخر لتدلّ على **[إسم مكان أو شخص أو موضوع...]** تمثّل العنصر المتحوّل.

3-2-1- الثابت: المقامة:

إنّ متتبّع مقامات الهمذاني يلحظ لفظا مكرّرا في العناوين ثابتا في كلّ النصوص هو لفظ **[مقامة]**. وتستدعي دراسة هذا اللفظ ثلاث وجهات، وجهة صوتيّة تدرس الحروف المكوّنة للفظة ووجهة اشتقاقيّة صرفيّة تدرس الوزن والصيغة ووجهة دلاليّة تدرس الإفادة المعنويّة.

3-2-1-1- الوجهة الصوتيّة:

تمثّل الحروف وحدات دنيا يراها البعض غير ذات بال لكنّ المتثبّت يكتشف أنّ للوقع الصوتيّ للحرف أثره في المعنى والدلالة فضلا عن التأثير في المتقبّل. ولفظة **[مقامة]** يغلب عليها حرفان رئيسان **[م]**و**[ق]** وهما حرفان مجهوران ف**[الميم]** من الحروف الشفويّة المجهورة والخليل يسمّي الميم "**مطبقة لأنّه يطبق إذا لفظ بها**"[1] و**[القاف]** "**لهويّ... أحد الحروف المجهورة... أمتن الحروف وأصحّها جرسا**"[2].

3-2-1-2- الوجهة الاشتقاقيّة الصرفيّة:

تعود لفظة **[مقامة]** إلى وزن **[مفعلة]** وهذا الوزن له دلالات متنوّعة حيث تجري إسما أو مكانا أو زمانا أو مصدرا أو مفردة مؤنّثة أو إسم فاعل أو تدلالا على كثرة الشيْء.

وَيُذْكَرُ أنّ: "**من هذا يُعلم أنّ صيغة المكان والزمان والمصدر الميمي واحدة في غير الثلاثي. وكذا في بعض أوزان الثلاثي، والتمييز بينها بالقرائن. فإنْ لم توجد قرينة فهو صالح للمكان والزمان والمصدر. وكثيرا ما يُصاغُ من الاسم الجامد اسم مكان على وزن مفعلة بفتح فسكون ففتح للدلالة على كثرة الشيء...**"[3]. فالوجهة الاشتقاقيّة تكشف ما لهذا الوزن من أهمّيّة صرفيّة. والاستعمال اللغويّ

---

[1] الخليل، كتاب العين دار الكتب العلمية – بيروت1424 هـ – 2003م، الجزء 12، ص14

[2] نفسه ج12،ص 14.

[3] ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفيّة ابن مالك، الجزء الثالث، ص210.

لهذا الوزن متنوّع الدلالات رغم أنّ الإحالة على المكان وكثرة الشيء به أكثر تواترا ويذهب في شرح الرضيّ على الشافية "**واعلم أنّ الشيء إذا كثر بالمكان وكان اسمه جامدا فالباب فيه مَفْعَلَةٌ بفتح العين وهو ليس بقياس**"[1]

فلا مناص من الحكم بأنّ الدلالة على المكان غالبة على المعطى. والهمذاني على وعي باختيارها خاصّة إذا كان ارتباط النصوص بأمكنة/مقامات تمثّل مجالس تُروى فيها الأحاديث والقصص. وهو ما يفتحنا على وجهة دلاليّة مخصوصة.

3-2-1-4- الوجهة الدلاليّة:

إنّ المتتبّع للفظة مقامة في لسان العرب يقف على دلالات متنوّعة أهمّها ما انفتح على اعتبارها رواية في مجلس...

ودلالة مقامة على مجلس يحدّد جملة ملامح هذا الجنس الأدبيّ باعتباره شكلا قصصيّا متميّزا عن غيره بعناصر تفرده رغم تماهيه مع بقيّة الأشكال. وما يدعم دلالة انفتاحها على مجلس ما يتماثل مع بناء النصّ ومحتواه. فأغلب المقامات ترتدّ إلى أفعال القول "**حدّث/قال**" فوجود الحاكي المتكلّم عنصر رئيس نكاد لا نجد مقامة خالية منه. وتشير أفعال القول إلى زمن الماضي وهو الدليل على أنّ الأحداث واقعة في الزمن الماضي وتتشكّل في الحاضر حكيا. فضلا عن الإطراب الصوتيّ المتميّز، وما يحيل عليه من إسم للمجلس أو لموضع المقام والقيام[2].

---

[1] الاسترابادي، شرح الشافية، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1395هـ – 1975 م. ص.118

[2] ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، الجزء12، مادّة [ق،و،م]، ص497.

وهذه الإحالات رَدّتْ النصّ إلى خصوصيّته باعتباره رابطا بين باثّ يحاكي ومتقبّلين يسعى إلى شدّ انتباههم. فغلبت خصائص طربيّة صوتيّة تشدّ الأسماع وتماثل الأشعار توقيعا. فلم تخل مقامة من ظاهرتيْ السجع والجناس. وقدْ رُدّتْ هذه الظواهر البلاغية الإيقاعيّة إلى قدرة صاحب المقامات على إيتاء فنون القول والصنعة والتفنّن. واشتركت النصوص في إثبات خصائص مميّزة للمقامة جنسا أدبيّا مخصوصا، ففضلا عن العنوان تشكّلت جملة من الثنائيّات المميّزة: السند والمتن، والنثر والشعر، والإنكار والمعرفة، والسجع والجناس، والاحتجاب والظهور، والراوي والبطل[1]... وتبرز في خصائص متنوّعة تميّز هذا الجنس الأدبيّ رغم تماسّه مع بعض الأجناس القصصيّة العربيّة القديمة التي مازالت في مراحل تمايزها الأولى، رغم أنّ اختيار هذه اللفظة "المقامة" عنوانا ثابتا يمكن أن تدلّ على وعي **بديع الزمان الهمذاني** بأنّه يكتب في جنس أدبيّ مختلف.

فالفرع الثابت في العنوان [المقامة] لفظ دالّ يجمع في دلالته مختلف هذه العناصر المميّزة لجنس أدبيّ مخصوص ويزداد الفرع الثابت قيمة في ارتباطه بعنصر ثان متحوّل متغيّر من نصّ إلى آخر، متماثل مع محتواه.

3-2-2- المتحوّل: الإحالة إلى المكان أو الموضوع أو الشخص أو الجنس الأدبيّ:

يستدعي الكاتب –فضلا عن العنصر الثابت في العنوان [المقامة]– عنصرا متحوّلا بين النصوص، يتماثل مع ما يطرحه محتوى النصّ فأحال على مكان أو موضوع أو شخصيّة. فالعنوان قد ميّز النصّ باعتباره جنسا مخصوصا

[1] يوسف نور عوض، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم بيروت، [د.ت] ص189.

بعنصره الثابت ومحمولا دلاليّا بعنصره المتحوّل. ويمكن أنْ نجمل ذلك في الجدول الإحصائيّ التالي:

	العنصر المتحوّل			
	المكان	الشخصية	الموضوع	الجنس
عدد المقامات	24	7	19	2
النسبة المائويّة	%46	%13	%36	%4

نلحظ من خلال هذا الجدول الإحصائيّ تنوّع العناوين في نصوص المقامات بين الإحالة إلى مكان الأحداث أو إلى الشخصية أو إلى الموضوع أو إلى جنس أدبيّ. وقد كانت الإحالة إلى المكان أكثر تواترا بنسبة 46% على حين كان نسبة الإحالة إلى الشخصية 13% وإلى الموضوع 36% والإحالة على جنس أدبيّ بنسبة 4%.

وقد تواترت أسماء الأمكنة للاشتراك في الدلالة والتقاطع في الإيحاء بين المكان والعنصر الثابت [المقامة] الدالّ على المكان.

3-2-2-1- الإحالة إلى مكان الأحداث:

يمثّل المكان عنصرا رئيسا والدرس النقديّ قد عُني به في النصّ الأدبيّ عامّة وفي النصوص الروائيّة بخاصّة. والمكان يأخذ منحييْن مكان علم يأخذ من الواقع مرجعا، ومكان خاصّ ينشأ في النصّ وبالنصّ. ولعلّ المكان العلم العامّ الذي يستند إلى مقاييس واقعيّة كانت له مستوياته الخلافيّة في بنائه ونشأته. والمكان الذي يحمل أبعادا مختلفة يجمل الباحثون في الدرس النقديّ على اعتباره مجالا لسير الأحداث. وقيام العنوان على ذكر المكان يمكن أنْ يوحي بدلالات

متنوّعة. والمقامات التي استدعت أمكنة عديدة يبلغ عددها تسع عشرة مقامة بنسبة 35% وكلّ مكان حضر في العنوان كان له امتداد في النصّ يدلّ على مكان سير الأحداث. ونستدلّ بالجدول التالي على العناوين التي أحالت عناوينها على أمكنة.

المقامة	المكان	الإشارة في النص	المقامة	المكان	الإشارة في النص
المقامة التيسابورية:	تيسابور	كُنتُ بِنَيْسابُورَ يَوْمَ جُمُعَةٍ	المقامة البصرية:	البصرة	دخلت البصرة وأنا من سنّي في فتاء
المقامة الأرمينية:	أرمينيا	لما قفلنا من تجارة أرمينية أهدتنا الفلاة إلى أطفالها	المقامة البغدادية:	بغداد	اشْتَهَيْتُ الإِزْدِيادَ، وأَنَا يَتَغَذَّاذ
المقامة الحلوانية:	حلوان	لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ، وَنَزَلْتُ حلوان مَعَ مَنْ نَزَلَ	المقامة الأهوازية:	الأهواز	كنت بالأهواز
المقامة الشيرازية:	شيراز	حَتَّى أَتَيْتُ شِيرَازَ	المقامة الأصفهانية	أصفهان	كُنْتُ بِأَصْفَهَانَ، أَعْتَزِمُ المَسِيرَ إِلى الرَّيِّ
المقامة الرصافية:	الرصافة	خَرَجْتُ مِنَ الرَّصَافَةِ أُرِيدُ دَارَ الخَلافَةِ	المقامة الجرجانية	جرجان	بَيْنَمَا نَحْنُ بِجُرجَانَ
المقامة العراقية:	العراق	طِفْتُ الآفَاقَ، حَتَّى بَلَغْتُ العِرَاقَ	المقامة الأذربيجانية	أذربيجان	وَبَلَغْتُ أَذَرْبِيجَانَ وقَدْ جَفِيَتْنِ الرَّوَاحِلُ
المقامة المارستانية:	مارستان	دَخَلْتُ مَارِسْتَانَ البَصْرَةِ وَمَعِي أَبُو داوُدَ المُتَكَلِّمُ	المقامة الكوفية	الكوفة	فَلَمَّا أَحَلَّتنا الكُوفَةُ مِلْنا إلى دَارِهِ
المقامة الموصلية:	الموصل	لَمَّا قَفَلْنَا مِنَ المُوصِلِ،	المقامة السجستانية	سجستان	حَدا بِي إلى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ
المقامة القزوينية:	قزوين	غَزَوْتُ الثَّغْرَ بِقَزْوِينَ، سَنَةَ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ	المقامة البلخية	البلخ	نَهَضَتْ بِي إلى بَلْخَ تِجَارَةُ الْبَزِّ
المقامة البخارية	بخارى	أَخَذَنِي جَامِعُ بُخَارى يَوْمٌ			

نخلص من هذا الجدول إلى أنّ عديد المقامات يرتبط في عنوانها لفظ "المقامة" بإسم مكان وهي أمكنة أعلام تزخر بها المعاجم الجغرافيّة. وتنوّعت الأمكنة من مدن الشام [الرصافة] والعراق [البلخ والكوفة بغداد والبصرة والموصل والعراق وحلوان والأهواز...] وفارس [سجستان وأذربيجان واصفهان وقزوين ومارستان وشيراز وأرمينيا ونيسابور]. وكثيرا ما يدلّ المكان على الحيّز الجغرافي الذي دارت فيه الأحداث. وقد يكون بين الأحداث والمكان علاقة وطيدة وتفاعل فريد. وقد تتنزّل مجرّد إشارة دون رابط دلاليّ بين سمات المكان وبنية الأحداث.

ويتنزّل حضور المكان المذكور في العنوان في أكثر المقامات في الجملة الأولى من النصّ ولا يعود إلى ذكره في ثنايا النصّ. بل ما ذكره إلاّ تحديد لفضاء الأحداث رغم أنّ العلاقة تتوطّد أكثر بين العنوان والنصّ. ومثال ذلك في قوله في المقامة الحلوانيّة "**لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ، وَنَزَلْتُ حلوان مَعَ مَنْ نَزَلَ**"[1] أو قوله في المقامة الأرمينية "**لمّا قفلنا من تجارة أرمينية أهدتنا الفلاة إلى أطفالها**"[2] أو قوله في المقامة الموصلية "**لَمَّا قَفَلْنَا مِنَ الموصِلِ**"[3].

وقد يجزم القارئ في أوّل وهلة أنْ لا تفاعل بين الأحداث والأمكنة. لكنّ ذلك لا ينسحب على بعض المقامات التي تستدعي أحداثها ضرورة مكانا مخصوصا يشير إليه في العنوان ويذكره في بداية النصّ وتتفاعل رمزيّته مع مقتضيات الأحداث.

إنّ الأمكنة التي أحالت إليها العناوين ترتبط حرفيّا بأمكنة النصّ وكثيرا ما تكون مؤطّرة منذ الوهلة الأولى لولوج النصّ. فكان المكان بذلك مؤطرا لنسق من الأحداث. وبعض الإشارات توحي بخصوصيّة المكان فالمقامة البغداديّة مثلا في إشارتها إلى السوق وما يمكن أن تحظى به بغداد من إشعاع حضاريّ –رغم أنّ عديد النقّاد يجمعون على أنّ الهمذاني حتى مماته لم تطأْ قدماه بغدادا– لكنّ النصّ في سياقه الحدثيّ يستدعي ضرورة سوقا كبيرة فكانت بغداد وكانت المقامة بغداديّة.

---

[1] بديع الزمان الهمذاني، المقامات، ص197.

[2] نفسه، ص213.

[3] نفسه، ص115.

وظلت الأمكنة متواترة في نصوص المقامات تؤطّر الأحداث وتسبغ من خصوصيّاتها على النصّ ملامح تفرّد النصوص وتميّزها وتشاكل العنوان الذي ظلّ مشيرا موحيا.

3-2-2-2- الإحالة على شخصيّة:

تستدعي عناوين المقامات أسماء أعلام، شخصيّات معروفة تاريخيّا. ويكون لهذه الشخصيّات امتداد في النصّ. وسنحاول أنْ نجمل في الجدول التالي المقامات التي توسّلت بالشخصيّات عناوين لها.

المقامة	الشخصية	الإشارة في النص	المقامة	الشخصية	الإشارة في النص
المقامة الغيلانية	غيلان شاعر معروف بذي الرمّة (77هـ-117هـ)	فَقَالَ: أَنَا غَيْلاَنُ بْنُ عُقْبَةَ،	المقامة التميمية	التميمي: أبو الندى التميمي	وَوَرَدَ فِيمَنْ وَرَدَ أَبُو النَدَى التَمِيمِيُّ
المقامة الصيمرية	الصيمري: أبو العَنبس شاعر وكاتب تولّى قضاء الصيمرة (213هـ-275هـ)	قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ المَعْرُوفُ بِأَبِي العَنْبَسِ الصَّيْمَرِيُّ:	المقامة البشرية	البشري: بشر بن عوانة: أحد الشعراء الصعاليك في الجاهلية	كَانَ بِشْرُ بْنُ عَوَانَةَ العَبْدِيُّ صُعْلُوكاً
المقامة الحمدانية	الحمداني: مِيْسَبِر إمارة حلب (303هـ-356هـ)	حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَوْلَةِ بْنِ حَمْدَانَ يَوْماً	المقامة الجاحظية	الجاحظ كاتب عباسي (160-255)	أَخَذْنَا فِي وَصْفِ الجَاحِظِ وِلِسَيْبِهِ، وَحُسْنِ سَبْيِهِ فِي الفَصَاحَةِ وَسُبْيِهِ، فِيما عَرَفْنَاهُ

نتبيّن من هذا الجدول أنّ الشخصيّات –التي استدعاها **الهمذاني** وجعلها مواضيع لمقاماته وعناوين تميّزها وتعيّنها– تتنوّع وتختلف –رغم اتفاقها في انتمائها إلى حقل الأدب– بين عصور مختلفة من الجاهليّة مثل **بشر بن عوانة العبدي**[1] والقرن الثاني الهجري مثل الشاعر **غيلان** المعروف **بذي الرمّة**[2] الذي عاش بين77هـ و117هـ والقرن الثالث مثل **الجاحظ**[3] الذي عاش بين160هـ و255هـ

[1] بديع الزمان الهمذاني، المقامات، ص280.

[2] نفسه، ص46.

[3] نفسه، ص87.

و**أبي العنبس الصيرمي**[1] الذي عاش بين 213هـ و275هـ والقرن الثالث مثل **سيف الدولة الحمداني**[2] الذي عاش بين303هـ و356هـ.

وبعض هذه الشخصيّات يحضر مسهما في الأحداث مؤثّثا مضمون النصّ مثل الشاعر **غيلان ذي الرمّة** و**أبي العنبس الصيمري**، وبعضها مُتَحَدّثٌ عنه قادح للنص مثل **الجاحظ** والشاعر الجاهلي **بشر بن عوانة**. وكان العنوان بذلك على وطيد صلة بمضمون النصّ.

3-2-2-3- الإحالة إلى موضوع النصّ:

تحيل بعض عناوين المقامات إلى مواضيع النصوص ومحتواها. ورغم أنّ الكدية تمثّل العنصر الثابت في أغلب المقامات، فإنّ مواضيع متنوّعة تثري هذا العنصر وتشكّل عنوانا مميّزا للمقامة وسنحاول أنْ نجمل ذلك في الجدول التالي:

المقامة	الموضوع	الإشارة في النص	المقامة	الموضوع	الإشارة في النص
المقامة القريضية	مجلس أدبي يبرز فيه الإسكندري رأيه في امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وجرير والفرزدق	فجلسنا يوما نتذاكر القريض وأهله	المقامة الحمدية	مجاهرة مخمورين في المسجد مع فضح ظاهرة النفاق	وجَعَلْتُ النَّهَارَ لِلنَّاسِ، واللَّيْلَ لِلكَلْبِ. قَالَ: واخْتَمَعَ إِلَيَّ فِي بَعْضِ لَيَالِيَّ إِخْوَانُ الخَلْوَةِ، ذَوُو النَّغَاتِي الجَلْوَةِ، فَمَا زِلْنَا نَتَغَاطَى نُجُومَ الأَقْدَاحِ، حَتَّى نَفَدَ مَا مَعَنَا مِنَ الرَّاحِ.
المقامة الإرانية	الكدية + احتضان العيال + الشعر	كنت ببغداد وقت الإزاذ	المقامة البغدادية	أبو الفتح يحظ قومه بالطريق ويجمع بين الشعر والنثر	بَيْنَا أَنَا بِالبَصْرَةِ أَمِيسُ، حَتَّى أَدَانِي المَنُونُ إِلَى قُرْضَةٍ قَدْ كَثُرَ فِيهَا قَوْمٌ عَلَى قَائِمِ يَعْظُهُمْ
المقامة المغزلية	إعجابهم الأولي بتعلق بالمغزل والثانية بالمشط	فقلت للأوّل رِدْ عليه المشط ليرد عليك المغزل	المقامة البغدادية	تنافس بين الإسكندري وأحد الشحاذين شتيمة وسبابا	اتَّفَقَ لِي تَذْرٌ تَذَرَّيْتُهُ فِي بِيذَارَ أَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى أَشْحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدَادَ
المقامة الإبليسية	لقاء بين عيسى بن هشام وأحد شيوخ الجن يدعى أبو مرّة	فقلت يا أبا الفتح شحذت على إبليس؟ إنّك لشحّاذ	المقامة القردية	تحلق الناس حول قرد يرقص في مدينة بغداد	فَإِذَا هُوَ قِرْدٌ يَرْقُصُ قِرْدَهُ، وَيَضْحَكُ مِنْ عِنْدَهُ، فَرَقَصْتُ رَقْصَ النَّخَرِّجِ، وَسِرْتُ سَيْرَ الأَعْرَجِ
المقامة البهزادية	أبو الفتح يصف لعيسى بن هشام مدينة متخيّلة تمام مجاعة	كنت ببغداد عام مجاعة فملت إلى جماعة	المقامة البطليسية	ادّعاء رجل الزهد ومعرفته مواضع بعض الكنوز، فخداع الناس	لأَنَّنِي أَعْرِفُ بَطْلَيْنِوس، أَحَدُ مَنْ بِأَرْضِ طَرْسُوسَ، تَنْشُرَةً فِيهِ التَّقُوسِنُ، مِنْ ذَخَائِرِ الغَنَائِقَةِ، وَخَبَايَا النِّطَارِقَةِ، فِيهِ مَائَةُ أَلْفِ مِثْقَالٍ، وَأَمَّا الآخَرُ فَهُوَ مَا بَيْنَ سُورَا وَالجَامِغِينِ، فِيهِ مَا يَغُرُّ أَهْلَ الثَّقَلَيْنِ، مِنْ كُنُوزِ الأَكَاسِرَةِ، وَغُدَدِ الخَيَابِرَةِ، أَكْثَرُهُ يَاقُوتٌ أَخْضَرُ، وَدُرٌّ وَجَوْهَرٌ وَتِيجَانٌ مُرَصَّعَةٌ وَبِدَرٌ مُجَنَّعَةٌ
المقامة المضيرية	دعوة إلى طعام+وصف لبيت ولكثير من آنيته ورياشه	وحضرنا معه دعوة بعض التجّار فقدّمت إلينا مضيرة			

[1] نفسه، ص236.

[2] نفسه، ص147.

نخلص من هذا الجدول الإحصائيّ إلى أنّ المقامات التي استحضرت مواضيعها في عناوينها لم تتخلّ في مجملها عن عنصر الكدية والتحيّل إلاّ نادرا. وما المواضيع التي ميّزتها إلاّ إثراء للكدية ووسيلة. فالمقامة القرديّة استعان فيها أبو الفتح الاسكندريّ بقرد للتكدية "**فَإِذَا هُوَ قَرَّادٌ يُرْقِصُ قِرْدَهُ، وَيُضْحِكُ مَنْ عِنْدَهُ، فَرَقَصْتُ رَقْصَ المُحَرَّجِ، وَسِرتُ سَيْرَ الأَعْرَجِ...**"[1] والمقامة الإبليسية شحذ فيها الاسكندريّ إبليسا "**فقلت يا أبا الفتح شحذت على إبليس؟ إنّك لشحّاذ**"[2].

وبعض المقامات التي تخلت عن التكدية كانت العناوين فيها موحية بموضوعها مثل المقامة القريضيّة[3] التي يبرز فيها أبو الفتح الاسكندري رأيه في امرئ القيس والنابغة وزهير وطرفة وجرير والفرزدق.

والمقامة المغزليّة[4] التي تقوم على أحجيتين تتعلّق الأولى بالمغزل والثانية بالمشط.

3-2-2-4- الإحالة إلى جنس أدبيّ:

التجأ الكاتب في ثلاث مقامات إلى عناوين مخصوصة تداخلت فيها بنية المقامة جنسا أدبيّا مثل المقامة الوعظيّة[1] والمقامة الشعريّة[2] والمقامة الوصيّة[3] في انزياح صريح يتبنّاه **الاسكندريّ** واختزل العنوان هذا الانزياح.

---

[1] بديع الزمان الهمذاني، المقامات، ص113.

[2] نفسه، ص208.

[3] نفسه، ص7.

[4] نفسه، ص190

المقامة	الجنس	الإشارة في النصّ
المقامة الوصيّة	الوصية	لمّا جهز أبو الفتح الاسكندري ولده للتجارة أقعده يوصيه
المقامة الشعريّة	الشعر	وانتخلت شيغري واستزقنة؟ واستراق الشّعر عتة الشّعراء. أقطع من سرقة البيّضاء والصّفراء(...) والذي جعل الشّعر ديوان العرب. وترجمان الأدب
المقامة الوعظيّة	الوعظ/الموعظة	حتّى آتاني السّتر إلى فرضة قد كثر فيها قوم على قاتم يعظهم

ولئن بدا **الهمذاني** في اختيار لفظة مقامة على وعي بمقوّمات الجنس الأدبيّ فإنّ في اختياره للموعظة والشعر عناوين دليلا على أن الأجناس الأدبيّة في القرن الرابع الهجريّ مازالت لمْ تستقم بعدُ. وما هذا التداخل إلاّ وجها آخر من وجوه التداخل التي نجدها في مختلف الأجناس القديمة خبرا وحكاية مثليّة ونادرة ومقامة. وهو ما يمكن أن يحيل إلى أنّ **بديع الزمان الهمذاني** جزء من ثقافة ينزاح الخطاب فيها من الشفويّ إلى المدوّن لكن ترسّبات الطابع الشفويّ مازالت مؤثّرة في المنتوج المكتوب.

إنّ بنية العناوين في المقامات تتراوح بين جزء ثابت يدلّ على جنس أدبيّ مخصوص بجملة مميّزات تفرده [المقامة] وبين جزء متحوّل متغيّر يقتضيه النصّ من الإحالة إلى مكان أو شخصيّة أو موضوع أو جنس أدبيّ. وقد حمل هذا البناء للعنوان في تنوّعه وعلاقته بالنصّ أبعادا ووظائف.

---

[1] نفسه، ص151.

[2] نفسه، ص252.

[3] نفسه، ص233.

4- أبعاد حضور العناوين في المقامات:

يُحقّقُ العنوان في "**المقامات**" أبعادا متنوّعة. فيظلّ في إنشائيّته اللغويّة والدلاليّة مؤثّرا في ذات التقبّل يحدث فيها اهتزازا نفسيّا للتفاعل مع النصّ عامّة. وتعود هذه الأبعاد إلى وظائف العنوان المتمحّضة عن قراءات اختلف فيها الباحثون وتنوّعت رؤاهم. لكنّ الناقد **جيرار جينات** [Gérard Genette] قد حدّد نمذجة منهجيّة ملائمة تختزل مذاهب تناول العنوان بالبحث والتحقيق. واختزل الوظائف المتنوّعة في أربع: **[التعيينيّة]**[1] و**[الوصفيّة]**[2] و**[الإيحائيّة]**[3] و**[الإغرائيّة]**[1].

---

[1] الوظيفة التعيينيّة: الوظيفة التي تعيّن إسم النصّ وتعرّف به القرّاء بكلّ دقّة وبأقلّ ما يمكن من احتمالات اللبس ويستعمل بعض المشتغلين على العنوان من قبيل [الوظيفة الاستدعائيّة عند قريفل/ الوظيفة التسمويّة عند ميتران/ الوظيفة التمييزيّة عند غولدنشتاين]. إلاّ أنّها تبقى الوظيفة التعيينيّة والتعريفيّة فهي الوحيدة الإلزاميّة والضروريّة. ولا تنفصل عن باقي الوظائف الأخرى لأنّها دائمة الحضور ومحيطة بالمعنى.

[2] الوظيفة الوصفيّة: يقول العنوان عن طريقها شيئا عن النص. ويراعي في تحديدها الوجهة الاختياريّة للمرسل (المُعَنْوِنُ) أو الملاحظات التي يأتي بها هذا الوصف الحتميّ والتأويلات المقدّمة من المرسل إليْه (المُعَنْوَنُ لَهُ) الحاضر دائما باعتباره فرضيّة لمحفزات المرسل (المُعَنْوِنُ) هذه الوظيفة لا منأى عنها.وهذه الوظيفة عدّها امبرتو إيكو مفتاحا تأويليّا للعنوان. وقد تنوّعت تسمياتها الوظيفية التلخيصيّة عند غولدنشتاين/الوظيفة اللغوية الواصفة عند كونتورويس.

[3] الوظيفة الإيحائيّة: أشدّ ارتباطا بالوظيفة الوصفيّة أراد الكاتب ذلك أمْ لمْ يردْه. فلا يستطيع التخلّي عنها. فهي ككلّ ملفوظ لها طريقها في الوجود إلاّ أنّها ليست دائما قصديّة ممّا يجعل

لكنّ **جيرار جينات** [Gérard Genette] يرى أنّ الوظيفة الإغرائيّة مشكوك في نجاعتها عن باقي الوظائف. بل إنّ **بارط** يذهب إلى أبعد من ذلك في مسألة العنوان الدالّ على النصّ فهو يرى في اكتساب العنوان هذه الوظائف يؤثّرا سلبا في متلقّي النصّ فهو يقرّ بـ"أن يكون الكتاب (النصّ) أغرى من عنوانه أحسن من أنْ يكون العنوان أغرى من كتابه (نصه) وهذا لكيْ لا نسوق القرّاء لعماء لا مرئيّ ونبقي على ذلك الميثاق الأخلاقي للقراءة."[2]

ومتأمّل عناوين المقامات قد يجد أن بعضها يستجيب لهذه الوظائف وبعضها يخرج عنها إلى قراءات متنوّعة يفترضها المقام وظروف خلق العمل الأدبيّ عامّة. لذلك وزّعت هذه الأبعاد إلى نصّية ونفسيّة وفنّيّة وما هذا التوزيع إلاّ إجرائيّ لأنّ قيمة هذه الأبعاد في تداخلها وتكاملها وتفاعلها. والعنوان لا يمكنه أنْ يحقّق هذه الأبعاد بمعزل عن النصّ لذلك سنجد صدى هذه الأبعاد التي يحقّقها العنوان في مدى النصّ المكمّل له.

الحديث لا عن وظيفة إيحائيّة إنّما عن قيمة إيحائيّة. لهذا دمجها جيرار جينات [Gérard Genette] في بادئ الأمر مع الوظيفة الوصفيّة ثمّ فصلها عنها لارتباكها الوظيفيّ.

[1] الوظيفة الإغرائيّة: يكون العنوان مناسبا لما يُغري جاذبا قارئه المفترض وينجح لما يناسب نصّه محدثا بذلك تشويقا وانتظارا للقارئ كما يقول "دريدا". لكنّ جيرار جينات [Gérard Genette] يرى أنّ هذه الوظيفة مشكوك في نجاعتها عن باقي الوظائف فيرى بارط "أن يكون الكتاب (النصّ) أغرى من عنوانه أحسن من أنْ يكون العنوان أغرى من كتابه (نصه)" وهذا لكيْ لا نسوق القرّاء لعماء لا مرئيّ ونبقي على ذلك الميثاق الأخلاقي للقراءة.

[2] *J.Barth (the Title of this Book) et(The Subtitle of this Book), in: The Friday Book, New york,1984 .*

4-1-البعد النصّي:

نقصد بالبعد النصّي ما يحقّقه العنوان في شكله الطباعي بما هو جزء صغير منفتح على امتداد. وما يربط بين النصّيْن من علاقات. ويظلّ العنوان شأنه شأن النصّ حمّال دلالات متوسّلا بأساليب متنوّعة توحي بجنسه أو موضوعه أو شخوصه أو مكان أحداثه.

فالعنوان –الذي يحتفظ في كلّ النصوص بلفظ **[المقامة]** وما يحمله من معان أهمّها الدلالة على جنس أدبيّ بعيْنه له شروطه ومقاييسه– يدلّ على أنّ **بديع الزمان الهمذاني** على وعي بأنّه يكتب في جنس أدبيّ مخصوص متميّز متفرّد وإنْ لا مس في بعض أركانه أشكالا قصصيّة قديمة.

لكنّ الإشكال يعود إلى اعتبار المقامة جنسا أدبيّا شفويّا استنادا إلى جملة من الدلائل. وهو ما يجعل الحكم على العنوان متغيّرا. فإلى أيّ حدّ يمكن أن تكون الحاجة إلى العنوان في نصّ شفويّ؟ وأ كان عنوان المقامة قد أُنشئ مع النصّ في الآن نفسه أم كان مخترعا لحظة التدوين؟ وهو ما يطرح الإشكال من جانب ثان فمن وضع عناوين نصوص المقامات الداخليّة؟ منشئ النصّ أم مدوّنه؟ لكنّ التعامل مع المقامة نصّا مكتوبا يُكْسِبُ عنوانه أهمّيّة خاصّة بل يكفي أنْ يتجاوز هذه الإشكالات المطروحة. فالعنوان يختلف بعدُهُ النصّي من مقامة إلى أخرى.

وقد يتداخل البعد النصّي مع الوظيفتين الوصفيّة والإيحائيّة اللتيْن حُدّدَتَا في الدرس النقديّ الغربيّ. فالعناوين تسهم في وصف النصّ والإيحاء بمحتواه وإشكالاته وأزماته. وعمليّة الوصف في العنوان رابط بين طرفيْ الإرساليّة في العمليّة

التواصليّة. وهو ما يستدعي ضرورة خطاطة **ياكبسون** التي نتوسّل بها قراءة حضور العنوان متوسّلين بالرسم التالي الذي نستعين في تصوّره بما يوسم بخطاطة العمليّة التواصليّة عند **ياكبسون:**

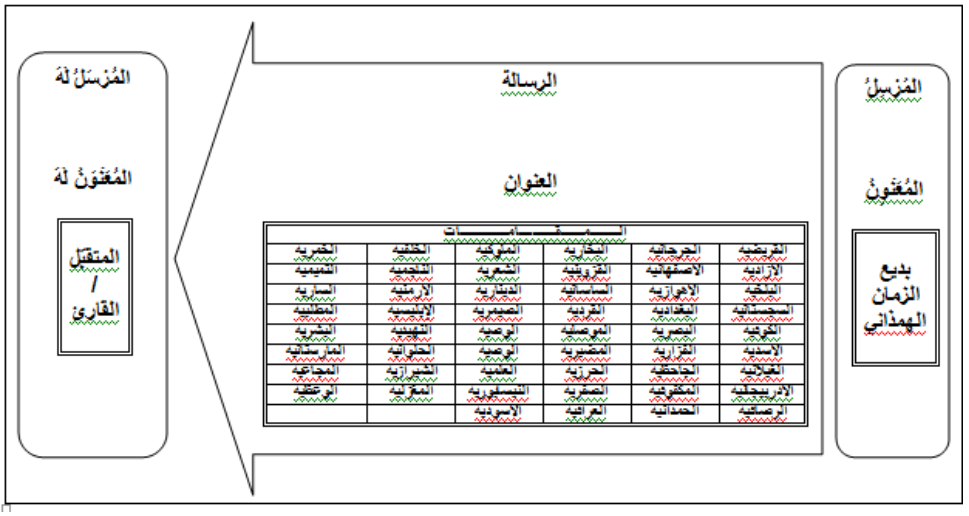

إنّ العنوان بهذه الوجهة يظلّ رابطا بين المعنونِ [المرسل] صاحب النصّ والمعنوَن له [المرسل إليْه] المتقبّل. فصاحب النص يظلّ يحاور في ذهنه فرْضيّات تقبّل نصّه. ويحاور متقبّلا افتراضيّا يستحدث منه محفّزات نفسيّة تجعله أكثر قربا من نصّه وأيسر انفتاحا على إمكانات تقبّله. وهذه الوظيفة اشترطها **امبرتو إيكو** لتكون

مفتاحا تأويليّا للعنوان[1]. واتّفق في محتوياتها النقّاد واختلفوا في تسمياتها مثل الوظيفة التلخيصيّة عند **غولدنشتاين**[2] والوظيفة اللغويّة الواصفة عند آخرين[3].

فالهمذاني في اختيارات عناوينه على وعي بهذا التحفيز المفترض من قبل القارئ فربط حادثة السوق ببغداد، وربط القريض بأشعر شعراء الثالوث **الأموي الفرزدق** و**جرير** و**الأخطل**، وربط اللغة وعلم الكلام **بالجاحظ**.

وكثيرا ما يميل إلى الإيحاء حيث صارت العناوين موحية بأمكنة الأحداث مثل بغداد والموصل... أو بمواضيع النصوص مثل القريض والخمر والادّعاء أوالتداخل مع الأجناس الأخرى شعرا وموعظة.. وكانت تبعا لذلك الوظيفة الإيحائية متّصلة بالوصفيّة وقد ذهب **جيرار جنات**[4] هذا المذهب، وما فصْله بين الوظيفتين فيما بعد إلاّ إجرائيّا لما انتابها من ارتباك وظيفيّ.

---

1) Umberto ECO (1988) [1984], *Sémiotique et philosophie du langage*, Paris, Presses universitaires de France.

2) *Goldenstein, Jean-Pierre : Lire les titres, Dans Entrées en Littérature, 67-84, Hachette, 1990.*

3) محمد فكري، العنوان وسيميوطيقا الاتّصال الأدبي، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة، 1998. ص16-17

4) GENETTE (GERARD), SEUILS, Editions Seuils, COLL. Poétique. Paris, 1987.

وتتلبّس مهمّة تحديد النصوص عند **الهمذاني** بعناوين تثبت النصّ أين رحل بما يذهب إليه المشتغلون على العنوان استدعاءً عند **قريفل**[1] أو تسمية عند **ميتران**[2] أو تمييزا عند **غولدنشتاين**[3]. فيظل العنوان حاملا مهمّة تحديد النص والدالّ عليْه، ويضحى النصّ ملزما به مقيّدا.

فبديع الزمان الهمذاني يصف بالعنوان النصّ ويحدّده بل يوحي بمحتواه عساه يكون أكثر تأثيرا نفسيّا في المتلقّي.

4-2- البعد النفسي:

يتمثّل البعد النفسيّ في ما يمكن أن يثيره صاحب النصّ في المتلقّي من تأثير حتى يقبل على نصّه. فكأنّ العنوان عمليّة إشهاريّة للنصّ و**الهمذاني** حين يتوسّل بشخصيّة يظل الحديث عنها مغريا مثل الشاعر **بشر بن عوانة الصعلوك** الجاهلي أو الشاعر **غيلان بن عقبة** المعروف بذي **الرمّة** أو**الجاحظ**... إنّما هو يسعى إلى استدعاء المتقبّل ليقبل على نصّه. وحين يتوسّل بأمكنة معروفة في بعض العناوين مثل بغداد ومارستان والكوفة.... فهو يحفّز القارئ للإقبال على نصّه ويحرّك ما بداخله من عواطف واستعدادات نفسيّة فيستثيره للقراءة. وهو ما

---

1) Grivel (Charles), Production de l'intérêt romanesque, Paris-La Haye, Mouton, 1973.

2) Henri Mitterand, Le Roman à l'oeuvre. Genèse et valeurs, Paris, PUF, «Écriture», 1998.

3) Goldenstein, Jean-Pierre : Lire les titres, Dans Entrées en Littérature, 67-84, Hachette, 1990.

يمكن أن يتداخل مع ما يُعرف بالوظيفة الإغرائيّة التي تناسب القارئ والنصّ في آنٍ يجذب القارئ ويشدّه ويغريه ويناسب النصّ في ما يحدثه من إغراء فيتشكّل التشويق والانتظار. ورغم أهمّيّة هذه الوظيفة عند بعض النقّاد فإنّ **جرار جينات** يشكّ في نجاعتها في معزل عن الوظائف الأخرى. بل إنّ **رولان بارط** يرى أنّ الإغراء متعلّق بالنصّ لا بالعنوان أو بالأحرى على النصّ أنْ يكون أكثر إغراءً من عنوانه حفاظا على المعيار الأخلاقيّ للقراءة بين صاحب النصّ ومتلقّيه.

لكنّ ذلك لا ينفي عن عناوين نصوص المقامات ما تثيره في المتلقّي من تحفيز وتشويق بما نجده من شخصيّات أو أمكنة أو مواضيع تستثير القارئ وتبعث فيه الرغبة للقراءة. فمهمّة العنوان تتجاوز التعيين والوصف والتسمية تفريقا بين النصوص إلى تحقيق بعد يغري المتلقّي فيتحقق بالعنوان تواصل أدبيّ فريد...

5- خاتمة:

ظلّ العنوان لفترة زمنيّة متأخّرة مهملا عن اهتمامات الدرس النقديّ ولمْ يُهتمّ به إلاّ في فترة متأخّرة مع عتبات [جيرار جينات *GERARD GENETTE*](1930-2018) وهوامش النصّ عند [هنري ميتران*H.Mitterand*](1928-) والنصّ الموازي عند [شارل قريفال Charles Grivel](1936-2015).

وقد شهد الدرس النقديّ العربيّ انزياحا لهذه المفاهيم والمقاربات فتنوّعت اهتماماته ومداخله لدراسة العنوان. وتوسّلوا بالسيميائيّات ملاذا نقديّا ومنهجا للدراسة واعتبروا العنوان أهمّ عتبات النصّ يوضّح دلالته ويستكشف معانيه الظاهرة والخفيّة تفكيكا

وتركيبا. وصار العنوان تبعا لذلك يُدْرس من خلال ثلاثة مداخل رئيسة: البنية والدلالة والوظيفة.

وكشفت لنا مقاربة عناوين مقامات **بديع الزمان الهمذاني** أنّ كلّ العناوين قد استدعت لفظة **[مقامة]** في صيغة مفرد لجمع صيغ عنوانا لكلّ الكتاب **[مقامات]** وقدْ يُردُّ هذا الاستعمال إلى وعي منشئ النص بالجنس الأدبيّ الذي يكتب فيه.

فمفهوم المقامة يتماثل مع بناء النصّ ومحتواه. إذْ أنّ العنوان [مقامة] قد أشار إلى جنس أدبيّ مخصوص تواترت فيه جملة عناصر أفردتْهُ عن غيره من الأجناس، مثل الاقتران بسند مخصوص **[حدّثنا عيسى بن هشام قال]** فأغلب نصوص المقامة ومعظمه يُفتتح بفعليْ القول "**حدّث/قال**" فضلا عن الإطراب الصوتيّ سجعا وجناسا ومزاوجة بين المنظوم والمنثور. فكان اتّفاق النقّاد على تعريف المقامة البديعيّة بكونها أقرب إلى قصّة قصيرة مسجوعة بطلها نموذج مكدّ متسوّل. وللمقامة راو وبطل. وهي تقوم على حدث طريف مغزاه مفارقة أدبيّة ومسألة دينيّة أو مغامرة مضحكة تحمل في داخلها لونا من ألوان النقد أو الثورة أو السخرية وضعت في إطار من الصنعة اللفظيّة والبلاغيّة. من ثمة فإنّ مختلف نصوص المقامات تحمل علامات مفردة تجعلها تنتمي إلى جنس أدبيّ مخصوص رغم بعض الاختلاف بينها...

فالعنوان **[المقامة]** عنصر ثابت في مختلف نصوص المقامات يحمل دلالته على جنس مخصوص من جانب، وعلى وعي الكاتب بأنّه يبدع في جنس أدبيّ معيّن وهو ما يطرح الوعي بالمقولة الأجناسيّة عند **بديع الزمان الهمذاني**.

وارتبط هذا العنصر الثابت بنعوت مختلفة بين النصوص توزّعت بين الإحالة إلى مكان الأحداث أو موضوع الحديث أو الشخصيّة أو الجنس الأدبيّ.

ولئن كان موضوع الحديث امتدادا للعنوان فإنّ الأمكنة لا تحمل قيمة إنشائيّة مثلى بل تحضر الأمكنة في مجرّد إشارة في بداية النصّ. وقلّما نجد تفاعلا إنشائيّا بين الأمكنة والأحداث أو الأمكنة والشخصيات. بينما كان في اعتماد الشخصيات عنوانا للمقامة تفاعلا بينها وأحداث النص ومضامينه.

واكتسب العنوان قيمته من خلال ما ينهض به من وظائف وما يحقّقه من أبعاد تستعيد العلاقة بين الباث صاحب النصّ والمتلقّي، وما يمكن أن يكتنفها من توصيف الكاتب لنصّه بالعنوان وتعيينه وتسميته دون أن ننفي محاولة إغرائه تأثيرا وترغيبا.

إن مقاربة العنوان في المقامات يمكن أن تبيّن وعيا جديدا بدراسة العنوان في المؤلفات القديمة وأشكالها القصصية المختلفة خبرا ومقامة ونادرة وحكاية مثليّة...

المصادر والمراجع:

المصدر:

الهمذاني (بديع الزمان)، المقامات، شرح وتحقيق الشيخ محمد عبده، الطبعة الخامسة، بيروت 1965.

المراجع العربيّة:

1- الاسترابادي، شرح الشافية، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، 1395هـ - 1975 م.

2- الجزار (محمد فكري)، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبيّ، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، القاهرة1998.

3- حمداوي (جميل)، السيميوطيقا والعنونة، مجلة عالم الفكر، وزارة الإعلام، الكويت، المجلد25، العدد3،.

4- الحموي (ياقوت)، معجم البلدان، دار صادر، 1993.

5- الخليل بن أحمد، كتاب العين، دار الكتب العلمية - بيروت 1424هـ - 2003م.

6- الزركلي (خيرالدين)، معجم البلدان، دار العلم للملايين، الطبعة15، 2002

7- السامرّائي (سهام)، العتبات النصّيّة في رواية الأجيال العربيّة، كليّة التربية جامعة سامرّاء، العراق، الطبعة الأولى، 2016م/1437هـ.

8- صمّود (حمادي)، الوجه والقفا، في تلازم التراث والحداثة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، الطبعة الثانية 2010.

9- عوض (يوسف نور)، فن المقامات بين المشرق والمغرب، دار القلم بيروت، [د.ت]

10- قطوس (بسام)، سيمياء العنوان، الطبعة الأولى، وزارة الثقافة، عمان، الأردن، 2001.

11- ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، 2004.

12- الهمذاني (بديع الزمان)، الديوان، تحقيق يسري عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة، 1424هـ/2003م

13- الهمذاني (بديع الزمان)، الرسائل، الطبعة الرابعة، القاهرة، 1928.

[نسخة مصوّرة على موقع لسان العرب lisaanularab.blogspot.com :12/2017]

المراجع الغربيّة:

1- Barth (the Title of this Book) et (The Subtitle of this Book), in: The Friday Book, New york,1984.

2- Duchet Claude, Eléments de titrologie romanesque, in LITTERATURE n° 12, décembre1973.

3- GENETTE (GERARD), SEUILS, Editions Seuils, COLL. Poétique. Paris, 1987.

4- Grivel (Charles), Production de l'intérêt romanesque, Paris-La Haye, Mouton, 1973.

5- Goldenstein, (Jean-Pierre): Lire les titres, Dans Entrées en Littérature, 67-84, Hachette, 1990.

6- H.Mitterand: (les titres des romans de Guy des cars), in : C.Duchet. Ed.Sociocritique, Nathan, 1979.

7- Léo H. Hoek, La marque du titre: dispositifs sémiotiques d'une pratique textuelle, Paris, Mouton, 1981 .Cité par J-P Goldenstein, Entrées en littérature, Paris, Hachette, 1990.